الموبذان كرتير ودوره في ترسيخ الزردشتية من خلال النقوش الساسانية

م . د عادل عاجل روضان
مديرية تربية القادسية / ثانوية العلوم للبنين
adelajel22@yahoo.com

الملخص

كان لشخصية كرتير حضورا مهما ومؤثرا في المشهد الديني الساساني كونه عاش في فترة اضطراب الديانة الزردشتية وصراعها مع المانوية وتمكن من احياء الزردشتية وترسيخ نفوذها من جديد مما اعطى قوة داعمة كبيرة للملكية الساسانية التي كانت تتكئ بشكل ملفت على الايديولوجية الدينية وقد قسمت هذه الدراسة على اربعة جوانب مثل الاول شخصية كرتير في الساسانية وبين الثاني رحلة كرتير الى الاخرة فيما عالج الثالث دور كرتير في اصلاح الوضع الداخلي الزردشتي والقى الرابع الضوء على دور كرتير في الصراع الزردشتي – المانوي، ثم اردفت تلك العناوين بخاتمة بينت اهم النتائج المستخلصة من هذه الدراسة .

Abstract

The character of Kartir had an important and influential presence in the Sassanian religious scene because he lived during a period of turmoil in the Zoroastrian religion and its conflict with Manichaeism. He was able to revive Zoroastrianism and consolidate its influence again, which gave great supportive force to the Sassanian monarchy, which was remarkably leaning on religious ideology. This study has been divided into four aspects. The first represented the character of Kartir in Sassanian history, and the second showed Kartir's journey to the afterlife, while the third dealt with the role of Kartir in reforming the Zoroastrian internal situation, and the fourth shed light on the role of Kartir in the Zoroastrian–Manichaean conflict, then these titles were supplemented with a conclusion that showed the most important results drawn from this study.

الكلمات المفتاحية: الزردشتية – ماني – كعبة زردشت – المانوية – بهرام الثاني

المقدمة

أن الابحاث العربية المتوافرة في دراسة النقوش الساسانية لم تحقق في نظرنا ما يكفي من المقاربة الشمولية للعلاقة ما بين التيارات الدينية القائمة في العصر الساساني، فقد اقتصر قسم منها وان كان في ثنايا بعض الدراسات على ذكر تفاصيل محددة دون الخوض في دراسة معمقة للتيارات الدينية الساسانية، اودراسة ملك او شخصية معينة او حادثة قائمة بذاتها من خلال تلك النقوش .

في هذا الاتجاه تحديدا يسير مشروع هذه الدراسة والتي اخترنا لها عنوان: الموبذان كرتير ودوره في ترسيخ الزردشتية من خلال النقوش الساسانية: وكرتير من الشخصيات الدينية الهامة التي غيبت من المدونات الدينية الساسانية سواء من المدونات الزردشتية نفسها او المانوية او الديانات الاخرى، أذ ان ما وصل الينا عنه فقط في ضوء النقوش الساسانية التي وثقها كرتير على اربعة من اعظم النقوش الساسانية الى جانب اعظم ملوك الدولة الساسانية .

ولعل السؤال الذي تثيره هذه الدراسة يتعلق بحل اشكاليات متعددة تدور حول شخصية كرتير، وانسجاما مع المعطيات المذكورة انفا تطرح الدراسة مجموعة من الفرضيات:

لماذا لم تصل الينا معلومات وافية عن هذه الشخصية المهمة في المدونات الساسانية المختلفة لا سيما المدونات الدينية حتى من المدونات الزردشتية نفسها ؟

كيف تمكن كرتير من نقش اعماله وانجازاته على النقوش الساسانية الخاصة بالملوك الساسانيين ؟

ما اهم المعطيات السياسية والدينية التي وردت في هذه النقوش حول شخصية كرتير ودوره الديني والسياسي في المجتمع الساساني وصراعه مع الديانات الاخرى ؟

كانت هذه الاسئلة في مقدمة المفاتيح التي عالجنا فيها موضوع هذه الدراسة من خلال اربعة عناوين رئيسية عالج الاول شخصية كرتير في النقوش الساسانية، وبين الثاني رحلة كرتير الى الاخرة،

واهتم الثالث بايضاح دور كرتير في اصلاح الوضع الداخلي الزردشتي، ثم تناول الرابع جهود كرتير في الصراع الزردشتي – المانوي، ثم اردفت تلك العناوين بخاتمة بينت اهم النتائج المستخلصة من هذه الدراسة.

فرضت طبيعة الدراسة مراجعة كم من النقوش الساسانية الواصلة عن الملوك الساسانيين والمتضمنة اسطرا متعددة نقشها كرتير الى جانب اعظم الملوك الساسانيين، اذ حتم هذا المسلك الاستعانة ببعض المصادر الفارسية والاجنبية التي ذكرت تلك النقوش، ومن ثم تحليل ما ورد في تلك النقوش مع ربطه مع ما ورد في بعض المدونات الفارسية من خلال التحليل والاستقراء والمقارنة بغية الوصول الى فك تلك التفصيلات التي وردت في تلك النقوش، وحاولنا في كل مبحث تسجيل بعض النتائج الجزئية حول تلك النقوش وشخصية كرتير نفسه، على امل ان تكون النتائج المفرزة عن هذه الدراسة دافعا معنويا لعديد الدراسات للنقوش الساسانية التي تحوي معلومات هامة قد لا توجد في المدونات الفارسية نفسها .قائمة

المختصرات

ت	الرمز	دلالته
١	ت	توفي
٢	ص	صفحة
٣	ج	جزء
٤	مج	مجلد
٥	م	ميلادي
٦	هـ	هجري
٧	هـ.ش	هجري – شمسي
٨	د.ت	دون تاريخ
٩	سال	سنة
١٠	شمارة	رقم

قائمة مختصرات النقوش

ت	رمز النقش	اسم النقش
١	ksm	سر مشهد
٢	KnRm	نقش رستم
٣	kkz	كعبة زردشت
٤	kkRb	نقش رجب

اولا: شخصية كرتير في النقوش الساسانية

تعامل الساسانيون في بدايات حكمهم الاولى مع المشهد الديني المتنوع الذي ورثوه عن الإشكانيين بطريقة متفاوتة، ويتضح هذا الى حد كبير في نقوش كبير الكهنة الساساني (كرتير) الذي قدم لنا بعض الادلة عن المشهد الديني للمجتمع الساساني، والكيفية التي تعامل بها الملوك الساسانيون مع هذا الاختلاف الديني المتنوع[١] .

وكرتير الذي يبدو انه عمل كاهنا، ثم كبير الكهنة، خلال عهد كل من أردشير الاول وبهرام الثاني، أحد أكثر الكهنة السياسيين نتاجا، فقد ترك بصماته الممثلة بأربعة من اعظم النقوش الساسانية – وهو ما تفوق به على معظم الملوك – على النقوش الصخرية في كل من سر مشهد (KSM)، ونقش رستم (KNRM)، وكعبة زردشت (KKZ)، واخيرا نقش رجب (KKRb)، وقد سجل كرتير في تلك النقوش ماثر سيرته العظيمة والالقاب المتعددة التي تقلدها من سلسلة الملوك عرفانا بأفضاله[٢] .

عند الخوض في تفاصيل النقوش التي وثقها كرتير يلحظ انه احد اقوى الشخصيات الدينية في القرن الثالث الميلادي في الدولة الساسانية، اذ يكفي ان العديد من العلماء قارنوه بالشخصيات التاريخية المهمة مثل (تنسر)، اذ يعتبر من القلائل الذي له الاذن بالكتابة على النقوش بجانب الاعيان والملوك الساسانيين، أذ تشير نقوش كرتير الى موقعه المهم في هيكل المملكة[٣]، وبالحديث عن السياق الزمني

الذي عاشه كرتير فأن الدراسات المعنية بنقوش كرتير الاربعة قد أرجعتها جميعها الى عهد بهرام الثاني الذي مثل ذروة ما وصلت اليه قدرات هذه الشخصية[٤] .

لكن الملاحظ ان الجهاز الديني الزردشتي غيب اي دور لكرتير، كما حجب الاشارة عن أسمه ايضا، فأنه لولا النقوش التي ضربها في عهده لكان من الشخصيات المجهولة التي لفها النسيان، وقد تباينت اراء الباحثين في حذف اسمه من الارشيف الزردشتي، ولعل الاستنتاج الذي وصل اليه المستشرق لوكونين قيم جدا، وذلك حينما رد محو اسمه من الارشيف الديني الزردشتي الى عوامل دينية ومذهبية متعلقة بممارسته الاكراه والجبر على بعض الفرق الدينية الزردشتية[٥]، ولعل هذه الاساليب المتفاوتة في طرقها ومفعولها بدأت من تنسر واحتمائه بالملكية الساسانية لتوظيفها في نقل الزردشتية من واقعها الفرقي المتعدد والمتناقض في ذاته الى كيان حامل لمواصفات الاجماع ومن ثم مانح له، ومرورا بالجبرية والفرض التي وسمت اعمال الموبذ كرتير في انجاز ذات الغرض[٦] .

تشهد نقوش كرتير بالجهود الكبيرة التي بذلها لترسيخ العقيدة التقليدية الزردشتية السائدة في الدولة الساسانية، مما اعطاه سلطة كبيرة ونفوذ قوي جدا لدى الملوك الساسانيين، أذ ترتب على ذلك ان منح كرتير عديد الالقاب، اذ تأخذ بعض مقاطع كتيبة كرتير في نقش رجب أهمية مضاعفة في تعقب الاطوار التي قطعتها جهود هذه الشخصية لتحقيق الاجماع الزردشتي، فورد في احدها كلام له يؤكد فيه وضع اسمه على كل الموقفات والاختام لبيوت العبادة الزردشتية في كل انحاء الدولة الى ان قال " انا كرتير اسماني شابور ملك الملوك موبذ وهيربذ "[٧] (Knrb سطر ٢٥ – ٢٨). ولعل جمع كرتير بين مقامي (موبذ وهيربذ) تحيل الى السلطة الدينية المطلقة التي اعطاها شابور لكرتير، لغرض ممارسة دوره في أصلاح الوضع الداخلي الزردشتي بما يلائم التغيرات التي طرأت على المشهد الديني للمجتمع الساساني .

يتجلى بوضوح من خلال الالقاب التي منحت لكرتير انها تعطي مجالا لاستيعاب الحضور الايجابي لهذه الشخصية بما يتناسب ومتطلبات الامبراطورية الساسانية الباحثة في ذاتها عن عناصر مانحة لمقومات التوحد والتمركز الديني لمواجهة الديانات الاخرى كالمانوية .

يبدو ان الساسانيون ارادوا تحقيق السيطرة على المؤسسة الدينية عن طريق ترقية بعض الكهنة الى مناصب رفيعة، ومنح هبات سخية، واغداق بعض الالقاب لهم، لأجل تكوين سلطة دينية عليا قومية وأيديولوجيا سياسية تفرض وجود تعاون بين الملكية والكهنة، وهو ما يتجلى مع شخصية كرتير، الذي منح اكثر من لقب ديني على اختلاف الملوك الذين عاصرهم ينظر جدول رقم – ١ – الذي يبين عدد الالقاب التي منحت لكرتير .

جدول رقم (١)

تطور الالقاب الدينية والادارية لكرتير في ضوء نقوشه الاربعة

ت	اللقب ومعناه	عدد مرات ورود	الملك المعاصر	رمز النقش	الملاحظات
١	هيربذ (قيم بيت النار)	٤	شابور	KNRb,KKZ ,KNRm	ورد هذا اللقب كذلك في نقش الملك شابور الاول (SKz، سطر ٣٤)
٢	موبذ (الرئيس الديني الاعلى)	٢٠	نرسه	KKz,Ksm, KNRm	ورد هذا اللقب كذلك في نقش الملك نرسه (NPl سطر ٣٢)
٣	موبذ هرمز (موبذ الملك هرمز)	٤	هرمز	KKz,KNRb	ورد ان هذا الملك منحه قبعه ونطاق وهي من نياشين العظماء

٤	موبذ ودادور (الموبذ، والقاضي)	٢	بهرام الثاني	KSm,KKz	يعتقد الكثير من الدارسين ان تدوين هذه الالقاب جرى في زمن هذا الملك
٥	أيين بذ (رئيس التشريفات)	٢	بهرام الثاني	KSM,KKz	–
٦	بخت روان بهرام (منجي روح بهرام)	٥	بهرام الثاني	KNRb,KKz	اختلفت القراءات في معاني هذه اللفظة فذهب البعض ان كرتير نفسه المنجي
٧	موبذ وهيربذ	١	بهرام الثاني	KNRb	–

ولعل اهم ما يحيل اليه الجدول اعلاه ان تلك الالقاب والمناصب التي منحت لكرتير انها مثلت قمة ما وصلت اليه هذه الشخصية من نفوذ كبير داخل المؤسسة الدينية الساسانية ولدى البلاط الساساني الملكي، كما يلحظ ان اغلب تلك الالقاب واكثرها اهمية منحت لكرتير في عهد بهرام الثاني .

ثانيا: رحلة كرتير الى الاخرة

لا شك ان انتشار الرحلات الرؤيوية لم تقتصر على كرتير او الديانة الزردشتية، بل كان هناك اهتماما مشابها في الديانات الاخرى التي سبقت الزردشتية، أذ يعكس ذلك التعقيد الممكن للمشهد الديني الساساني الذي انعكس في مشهد ديني تتنافس فيه مجموعة من الاديان الزرادشتية مع كل من اليهودية والمسيحية والمانوية، فضلا عن البوذية والطوائف الغنوصية المختلفة[٨] .

وتتمثل تلك الرحلة الى الاخرة بمشاهدة العالم غير المرئي، وهي مهمة محفوفة بالمخاطر لا يستطيع القيام بها سوى اشخاص محدودين، ويتمثل ذلك بتناول جرعة (قنب مخلوط بالنبيذ) ثم السفر

الى عالم الاموات فيجرب الموت المؤقت[٩]، وقد ارتسم ذلك بوضوح شديد في المعراج الذي ضمنه كرتير لبعض نقوشه وكتاباته، فقد ابتدأ بتناول الشراب المقدس الذي يدخل صاحبه الرحلة عن هذا العالم وثم ركوبه الدابة والتجوال في السماوات طبقة بعد طبقة، ولقائه الملائكة الموكلين بها، واطلاعه على الجنة والنار، حتى حظى اخيرا بلقاء اهورمزدا، الذي بدأ مستبشرا وراضيا عن كرتير[١٠] (Knrb سطر ٢ – ١٣، Ksm سطر ٢٥ – ٢٨) .

لعل محتويات رحلة كرتير تمثل انطباعاته الشخصية لخدمة هدف عام لا يمكن ان تفك بالتفصيل، غير انها تشكل دليلا لما كان يشعر به شخص من شك وقلق ازاء الآخرة، بسبب قيامه بأضطهاد المنشقين والاقليات الدينية في الامبراطورية الساسانية، ففي تلك النقوش صور كرتير وهو يقوم برحلة الى الآخرة كي يعود بتقارير عن الجنة والجحيم، وبينما لا تبدو تفاصيل الرحلة واضحة جدا الا ان هدفها يبدو واضحا تماما، أذ تعكس تلك النقوش الشك والقلق تجاه الآخرة ويشعر كرتير بالحاجة الى تلك الآخرة من خلال الورع والاعمال الطيبة، وأن يذكر ما رآه ليرشد معاصرية والاجيال اللاحقة[١١] .

على الرغم من ان الطابع الظاهري لهذا العروج الساعي لأثبات مصداقية الزردشتية واحقيتها قبال المانوية، ولكنه حمل وظيفة اخرى قد يكون المغزى الرئيسي متمركزا فيها وهي الصفة التجديدية، فمن المعلوم ان فكرة المعراج وتجسيدها في شخص ما مرتبطة في الغالب بمؤسسي الاديان او انبيائها[١٢]، فذات المتون الزردشتية الواردة في كتاب (زند بهمن يسن) على سبيل المثال روت معراج زردشت ولقائه اهورمزدا على نحو مماثل لمعراج الموبذ كرتير[١٣] .

أن عملية عروج كرتير الى السماء لم تكتنفها دون شك دواع استعراضية امام السلطة السياسية فحسب، بل مخاطبة المجتمع الزردشتي في مدى ثبوتية معتقداتها، ولعل هذا ينطوي ضمن الصراع الدائر انذاك بين المانوية والزردشتية، اذ كانت المانوية منافسا وخصما لدودا للزردشتية ومعتقداتها، لكنها من جهة اخرى ظلت محفزة ومنشطة لها بما تثيره في داخلها من تحديا، فكانت بادرة الزردشتية هو المعراج المناظر لما موجود في المانوية والذي قام به الموبذ كرتير[١٤] .

يبدو ان العروج للسماء ابرز ما اتكأت عليه الزردشتية عقائديا وايديولوجيا لتبرير جدوى وجودها واستقرارها بقوة في المجتمع الساساني، فلم يكن استثماره مقصورا على التحدي المانوي، وانما اعيد استحضاره عندما برز التحدي النصراني، بوصفه منافسا شديدا للزردشتية، لما تمتعت به المسيحية من قدرات واسعة في التبشير وهمة عالية في كسب الانصار والمريدين[١٥]، فالحرص الملاحظ على اظهار المعراج كلما تعرضت الزردشتية الى منافسة الاديان التي تضادها يدل على اثبات حيويتها واستمرار الرعاية السماوية لها .

ولعل من مسببات المعراج الزردشتي وتفخيم العمل به في القرن الثالث الميلادي هو في حقيقة الامر وليد الضغط المستمر للاديان المنافسة الاخرى، ومحاولة الزردشتيين التعبير عن مقدرتهم وشمولية ديانتهم ، وفي هذا الباب تعطي نقوش الموبذ كرتير بيانا دقيقا عما كانت الزردشتية تواجهه من اديان فورد عن كرتير قوله " قمعت اليهود والبوذيين والبراهمة والنصارى والمندائيين والزنادقة (المانويين) واخربت اصنامهم وشيدت مكانها بيوتا للآلهة (kkz سطر ٩ – ١٠ ، knrm سطر ١٩ – ٢١)[١٦] .

لعل فكرة العروج الى السماء مثلت بعدا ايديولوجيا في اثبات احقية الزردشتية، فالهدف العام هنا هو تقديم طرحا عقائديا قويا حيال الديانات الاخرى المنافسة في المجتمع الساساني، اذ تبدو البادرة الاولى لهذا الطرح هو فكرة العروج الى السماء، لغرض تقديم ما يوازي الديانات الاخرى وينافسها، وينضوي ذلك كله في بيان ما تمتلكه الزردشتية من المؤهلات الكافية نحو الديانة الجامعة .

ثالثا: دور كرتير في اصلاح الوضع الداخلي الزردشتي

عند اي تقدير لموضوع التيارات الدينية خلال العصر الساساني نحتاج الى استذكار التنوع المدهش للمشهد الديني الساساني، وحتى وقت قريب كانت المحاولات في هذا الاتجاه قد تعرقلت بسبب الانموذج المعياري (البراديغم) الراسخ لتعاون السلطة الدينية العليا والدولة في الدراسات الساسانية، فالايديولوجيا التي كانت قائمة في الممارسات المفترضة للملوك الساسانيين الاوائل يتم التعبير عنها بشكل مفصل في الوثيقة الساسانية الشهيرة المعروفة بأسم (وصية اردشير) او (عهد اردشير) والمنسوبة الى اول ملك ساساني اردشير الاول الذي قال " واعلموا ان الملك والدين اخوان توأمان، لا قوام لاحدهما الا بصاحبه، لأن الدين اس الملك وعماده، ثم صار الملك بعد حارس الدين، فلا بد للملك من اسه، ولا بد للدين من

حارسه "[١٧]، فهذا الموروث الكهنوتي عمل به الملوك الساسانيين لاحقا يستند الى ايديولوجيا معينة تفترض وجود ركيزتين اساسيتين للدولة (الدين والملك)، ضمن حالة روحانية مذهبية صارمة .

من الواضح ان الساسانيين كانوا رعاة سلطة دينية عليا زردشتية منظمة ومحافظة، وان الدعاية السياسية والدينية الساسانية القوية كان لا بد ان تصطدم بمجموعة من العقائد والافكار الدينية المتمثلة بالديانات المنافسة الاخرى، وان الاعمال الحقيقة لمحاولة التوحيد هذه تمثلت بشهادات كبير الكهنة كرتير، والتي تشبه عباراته الى حد كبير عبارات كبير الكهنة الآخر (تنسر) الذي وصلت الينا شهاداته بصيغة منقحة في وثيقة تعود الى القرن السادس والتي تعرف باسم (رسالة تنسر)[١٨] .

لعل اكثر الاسباب الواقعية التي دفعت كرتير لتنظيم الوضع الداخلي الزردشتي هو استشعار الخطر الحقيقي للاديان المنافسة الاخرى لا سيما المانوية، لذا عمد كرتير الى اجراء طابع تنظيمي موحد للجهاز الديني الزردشتي ارتكز بصفة اساسية على بيوت النار الزردشتية، وهو ما اشار اليه كرتير في احد النقوش الواردة عنه (اما بالنسبة الى الاعمال المربوطة بالالهة توسعت كثيرا وتأسست عدد من بيوت النيران، واصبح الكثير من المغان في سعادة)[١٩] (kkz سطر ٢)، ولعل المغزى من هذا التنظيم الجديد لبيوت النار واضافة بيوت جديدة ينضوي تحت محاولة كرتير اعادة هيكلة تلك البيوت وتنظيم عملها بما يتماشى مع النمطية الجديدة التي يحاول من خلالها اصلاح الوضع الزردشتي وجعله يبدو قويا ومتماسكا، أذ كانت بيوت النار تلك اشبه بنقاط متداخلة ومتفرعة في الوحدات الادارية للدولة، ثم تندمج تلك البيوت لتخضع لسلطة مركزية رئيسية موحدة، ولعل هذا التنظيم الهرمي لبيوت النار يأخذ طابعا عكسيا لفلسفة التدبير الملكية التي تنطلق من الملك ومن ثم تصل الى ترتيب وتنظيم الشؤون الشخصية للافراد[٢٠]، اما بيوت النار فأنها تنتهي الى بيت نار مركزية واحدة يشرف عليها مباشرة كبير الموابذة كرتير[٢١]، واتضح هذا التنظيم الهرمي في اشارة الموبذ كرتير الى انه اصبح (آيين بذ) (kkz سطر ٨) اي انه المشرف على بيت نار اصطخر[٢٢]، ولعل هذه المركزية العالية لتنظيم هرمية بيوت النار ومرجعها الى كرتير نفسه تفضي بشكل ملفت الى الجهود الكبيرة التي بذلها كرتير لتنظيم الزردشتية واعطاءها نوعا من التوازن حيال الديانات الاخرى .

ثمة وجه آخر يمكن من خلاله تتبع جهود كرتير في اجراء عدد من التنظيمات في البنية الداخلية للزردشتية فقد ورد عن لسانه في احدى نقوشه " ختمت للكثير من بيوت النيران والمغان والوثائق والعهود، وكتبت اسمي في اماكن مختلفة، وكتبت اسمي على العهود والوثائق المختومة)[٢٣] (KNRb سطر ٢٣– ٢٦)، ولعل ابرز ما تفضي اليه هذه المقولة الواردة في النقش هو انها اشتملت على الفاظا لها ارتباط بالتنظيم الاداري مثل الاختام والوثائق والعهود وهذا يفضي الى تنظيم عالي الدقه احدثه كرتير على مستوى بيوت النار المنتشرة في كل انحاء الامبراطورية، لا سيما ان اغلب تلك الاختام والوثائق ترتبط به مباشرة، أذ يمثل ذلك جزء من حركة التنظيم العالية التي بدأها كرتير لجعل المؤسسة الدينية اكثر دقه وتنظيم ولها مركزيتها الموحدة وقوانينها النافذة .

تؤشر نقوش الموبذ كرتير ايضا الى حالة من التنظيم الديني العالي داخل مجتمع الآلهة الزردشتية، ففي السابق كان الملوك الساسانيون عند اشارتهم الى الآلهة الزردشتية يذكرونها بصيغة الجمع دون تحديد او تعيين احدها، وهي لفظة تحمل مجموعة اغراض سياسية ملكية، فضلا عن تأشيرها حالة من التراخي واللامركزية التي تعيشها هذه الديانة، فالرئاسة فيها مفقودة وغير محددة[٢٤]، لكن منذ اواخر عهد الموبذ كرتير اجريت عمليات توحيد وابراز للرئاسة الدينية داخل مجتمع الآلهة المتعدد، ففي المواضع المفردة عن الملوك والتي تم فيها الاشارة الى لفظة الآلهة فأنها جاءت مقرونة بأسم الاله (اهورمزدا) وكما في عبارة " اهورمزدا وايزدان "[٢٥] (KKZ سطر ٢ – ٩)، وغالبا ما كان يقصد بتلك اللفظة (ايزدان) الآلهة الزردشتية المشهورة (مهر، اناهيتا، بهرام) وكانما هذا التنظيم الهرمي الجديد يوحي لحال التصالح الداخلي التي عاشتها الآلهة وتسييد احدا عليها يدبر شؤونها ويدير امورها، فكل هذا تم في عهد الموبذ كرتير الذي نضجت في عهده الزعامة الدينية الزردشتية .

عند الحديث عن التنظيم العالي الذي خلقه كرتير في الزردشتية لا بد من الاشارة الى التنظيمات الاخرى التي اوجدها كرتير، لا سيما ما يتعلق منها بالامور الطقسية والشعائرية، اذ ان الانتشار المعتدل والمتوازن الذي حققه كرتير للزردشتية واتساع قاعدة معتنيقها مع طبيعة الامتداد السياسي للدولة كان لا بد له من تنظيم عقائدي ذات ابعاد روحية يزيد من روابط تمسك الافراد بديانتهم، لذا يبدو ان الاحصاء الذي قدمه كرتير في احد نقوشه عما جرى في عام واحد مفيدا في بيان حجم ذلك التأثير ومداه، فأشار في سنة

واحدة فقط جرى (٦٧٩٨) (ردبساك)[٢٦] (kkz سطر ١٦)، اي طقس او شعيرة يومية او فصلية في مختلف بيوت النار المنتشرة في ارجاء الدولة، ولعل الملفت للنظر في هذا النقش الوارد عن كرتير انه يوفر لنا رقما دقيقا او احصاءا حتى لعدد الشعائر القائمة في بيوت النار المختلفة، مما يفضي الى التنظيم العالي الذي شهدته بيوت النار في عهد الموبذ كرتير، فأقامة الشعائر بهذا الكم الكبير دليل على ازدياد عدد معتنقي الزردشتية والتزامهم بأداء طقوسها المختلفة، ولعل هذه الاحصائية كان كرتير قد قدمها للسلطة الملكية الحاكمة المتمثلة بالملك الساساني لبيان مدى انتشار الطقوس والشعائر وتنظيمها على مستوى عالي ولبيان جهوده في ابراز قوة الزردشتية وانتشارها .

لا شك ان الجهود التي بذلها كرتير اسهمت في تحويل الزردشتية من ديانة محلية ومستقلة في التعامل الى ديانة جامعة تحمل بوادر التعامل السياسي وتتفاعل مع التطورات الجديدة التي ظهرت مع قيام الدولة الساسانية، فالتنظيم الذي احدثه كرتير ساهم في التنظيم الدقيق في هيكل البناء الزردشتي، والذي ادى بدوره الى انضاج مفهوم الدين السياسي بداخلها والذي مكنها من الصمود امام قوة الاديان المنافسة الاخرى في المجتمع الساساني، كما ان تلك التنظيمات اعطت السلطة الملكية الساسانية الاستقرار اللازم والدعم الكبير لتدعيم ديمومتها واستمرارها .

رابعا: جهود كرتير في الصراع الزردشتي – المانوي

من الواضح ان المشهد الديني الساساني اتسم بمزيج غير متجانس وبشكل ملحوظ من المعتقدات والميول الروحية، اذ تمثل ذلك بوجود عدد من الديانات التي كانت تتنافس خلال العصر الساساني كالمانوية والزردشتية والمسيحية واليهودية، لذا فأن الفترة التي عاشها كرتير كانت قد شهدت صراعا دينيا ما بين الزردشتية والمانوية، اذ ان فكرة التوأمة بين الدين الملكية والدين هو ما سعى اليه الملوك الساسانيين من خلال تأسيس بناء جديد للسلطة الدينية العليا الزردشتية، وانشاء دولة ثيوقراطية تعتنق العقيدة الزردشتية[٢٧] .

يبدو ان النزاع الزردشتي – المانوي كان يمثل تنافسا صريحا لكل طرف على حساب الاخر، فالمانوية تمثل الغريم الاول للزردشتية، وظلت لفترة طويلة محفزة لها بما تثيره داخل الملكية الساسانية من

افكار وطروحات تتناغم الى حد كبير مع توجه الامبراطور الساساني (الشاهنشاه) وسياسته الرامية الى تطبيق فكرة المركز الواحد والاطراف المتعددة، اذ لاقى الطرح المانوي المتمثل بفكرة الاتساع جغرافيا ودينيا قبولا شديدا عند الملكية الساسانية خصوصا في عهد شابور الاول الذي عاصر ظهور ماني كما عاصر كرتير نفسه، فالانتشار الجغرافي هو احد الركائز الذي يعتمد عليه (الشاهنشاه) لتوسيع قاعدة ملكه، أذ وردت في الروايات التي تناولت لقاء ماني بشابور " وسأله ماني عدة حوائج منها ان يعز اصحابه في البلد وسائر بلاد مملكته، وان ينفذوا حيث شاءوا من البلاد، فأجابه شابور الى جميع ما سأل وكان ماني دعا الهند والصين واهل خراسان، وخلف في كل ناحية صاحبا له "[٢٨]، ولعل فكرة الانتشار تلك تمثل اولوية قصوى لدى الملكية الساسانية بوصفها احدى عوامل فلسفتها التي تبنتها للتوسع والسيطرة بشكل اكبر، مع ابقاء تلك الاقاليم خاضعة ومنقادة للمركز بشكل دائم، كما ان تلك الافكار هي من دعت شابور الى القيام بدعوة ماني الى بلاطه، اذ تعرض لنا قطعة من كتاب (كفالايا) لقاء شابور الاول مع ماني، أذ تذكر عن ماني قوله " استقبلني بحفاوة عالية واجازني في التبشيربالدعوة للمانوية، في اراضي الدولة وبلاد الاشكانيين، والاقاليم المتاخمة للامبراطورية البيزنطية "[٢٩] .

لعل ما تحاول المانوية تثبيته أن الملك شابور سعى الى استثمار كفاءتها في ميدان توسيع قاعدة معتنقيها المستمر وقدراتها التبشيرية في تدعيم فكرة الدولة الامبراطورية، لا سيما في المناطق والاقاليم التي تحد الامبراطورية البيزنطية، وهو مسعى في ايجاد روابط بين معتنقيها في الداخل والخارج، فأن تحقيق تواصل من هذا النوع من شأنه التمهيد لاستقرار تواجد الدولة وامتدادها في تلك المناطق[٣٠] .

من الواضح ان هذا الطرح المانوي ساهم في تحفيز الزردشتية والموبذ كرتير لطرح افكار مقاربة لما جاءت به المانوية لتكون اكثر مقبولية عند (الشاهنشاه)، فالمانوية رغم حداثة ظهورها مقارنة بالزردشتية الا انها امتلكت قدرة عالية في الدعوة والانتشار، اذ يلحظ ان عددا من نقوش كرتير اشارت الى الجغرافية السياسية للامبراطورية، والتي تتكون منها الامبراطورية الساسانية في زمان بهرام الثاني، اذ ورد فهرست بالاقاليم والمقاطعات التي تؤلف مساحة الدولة[٣١] (kkz سطر ١ – ١٢) .

أن مساعي المانوية في تدعيم فكرة الامبراطورية وجدت قبولا كبيرا لدى الملك الساساني شابور، لا سيما ان افكار المانوية كانت تتناغم الى حد كبير مع سياسة شابور في توسيع رقعة الامبراطورية، لا سيما في المناطق والاقاليم التي تحد الامبراطورية البيزنطية، فأن تحقيق المانوية لهذا الانتشار من شأنه ان يوسع من قاعدة معتنقي هذه الديانة مع جعل مركز الدولة هو الاساس لهذا الانطلاق، وهو أشبه بتكوين مرجعية دينية جامعة ومتمركزة في قلب الدولة، مما يجعل الانصار والمؤيدين منقادين اليها عقائديا، لذا فان هذه الفكرة كانت احد العوامل المحفزة التي دفعت كرتير الى ابراز افكار توازي العرض المانوي هذا، وكأنما العملية اخذت طابعا تنافسيا ما بين المانوية والزردشتية، يقوم كل طرف فيه بتقديم ما تسعى اليه الملكية الساسانية وتدعيم ما يتناسب مع متطلبات الامبراطورية .

وفي هذا الاتجاه حرص كرتير على ملاحقة العرض المانوي لبيان امتلاك الزردشتية مفهوم الديانة الجامعة التي تلبي احتياجات الدولة وتتناغم مع تطلعاتها الموجهه نحو المركزية، ففي نقوش الموبذ كرتير الاربعة يلحظ ان هناك حرصا واضحا على استيعاب بعض المفاهيم السياسية، ففي نقش كرتير في كعبة زردشت (kkz سطر ١١) وردت بعض الاقتباسات لعديد المصطلحات الداخلة في الجغرافية السياسية مثل اصطلاح (ايرانشهر) اي دولة ايران، و (انيرانشهر) اي الدول الغير ايرانية، كما ان هناك تفصيلات مطولة للمناطق التابعة للدولة الساسانية التي امتدت اليها مع ذكر اسماءها وحدودها الادارية والجغرافية، كما يلحظ ان هناك تأييدا من كرتير للحملات العسكرية التي شنها شابور عليها[٣٢] (kkz سطر ١١ – ١٥)، ولعل اهتمام الزردشتية وكرتير بهذه الجزئية يعكس حجم التنافس مع المانوية لتقديم ما يوازي افكارها التي قدمت لشابور، كما يعكس تفهم كرتير لتقديم فكرة الديانة السائدة التي تنتشر خارج مركز الامبراطورية.

ليس من قبيل المصادفة في اطار التطورات الدينية لهذه المرحلة التي تمثلت بالكاهن كردير نشطا هي ذاتها المرحلة التي مثلت ذروة نشاط ماني ايضا، وليس من قبيل الصدفة ايضا ان يتنافس كل من كرتير وماني على النفوذ مع الملك شابور الاول طوال فترة حكمه، وان يرافقاه كليهما في حملاته العسكرية.

على الرغم من ان كرتير سعى بلا كلل لاقامة الزردشتية دينا للدولة على حساب خصمه ماني، وترك نقوشا هائلة كان بعضها بجانب نقوش اعظم الملوك الساسانيون الا انه لم يذكر من بين الشخصيات

الدينية البارزة مثل (تنسر) في عهد (اردشير الاول) او (اتربات) في حكم (شابور الثاني) او (به شابور) في ظل حكم (كسرى الاول) في المدونات الفارسية الخاصة بأواخر العصر الوسيط، بل نادرا ما تشير اليه المدونات المانوية او تسميه، وهو امر غريب تجاه شخص حكم على ماني بالموت في عام ٢٧٦م خلال حكم بهرام الاول[٣٣]، ولعل تغييب حضوره في المدونات المانوية لا يختلف كثيرا عن تغييب اسمه في المدونات الدينية الزردشتية، اذ يبدو ان سياسة الاقصاء والترهيب الذي مارسه كرتير على الزردشتيين نفسهم اسهم في ان يغيب اسمه من مدوناتهم، اما المانويين فارادوا تغييب اسمه حتى لا يتركو اثرا له او دليل للاجيال اللاحقة ومن يريد اعتناق المانوية على ان ماني ضعيف، فالمغزى ابراز صورة ماني اكثر حيال منافسه كرتير كون تلك المدونات دونت من قبل المانويين انفسهم .

لعل اكثر ما يمكن استيعابه من الفترة الزمنية التي عاشها كرتير والتي كان يتفاخر بها في قمع البدع (الهرطقات) المختلفة يؤكد تفشي تلك البدع خلال القرن الثالث فضلا عن ان المشهد الروحي الذي تشكله كان متعدد الاوجه كالمشهد الذي ورثه الساسانيون من العصر ما بعد الافستي، وبعد ان مر اكثر من ثلاثة ارباع القرن منذ دخول القوة الساسانية، ولكن الواضح ان نقوش كرتير كانت تعكس جزءا من الحقيقة – فهي منحوتة في الصخر – الى جانب نقوش اعظم الملوك الساسانيون، فأن الانطباع الذي تركته نقوش كرتير هو انطباع عن استمرارية المشهد الديني غير المتجانس في المجتمع الساساني .

الخاتمة

طرحت الدراسة في المقدمة عدة اسئلة تدور حول تغييب اسم كرتير من المدونات الزردشتية والمدونات الفارسية الاخرى، وما هي المعطيات المفرزة من نقوش الموبذ كرتير، وكيف تمكن من نقش اعماله على اهم النقوش الساسانية الخاصة بالملوك، وبعد عملية استقصاء ومطالعة لتلك النقوش ومقارنتها بالمدونات الفارسية التي عاصرت كرتير ثبتت الدراسة مجموعة من النتائج وهي كالآتي:

١ – من الواضح ان تغييب اسم كرتير من المدونات الزردشتية كان يتعلق بعوامل الترهيب والاقصاء التي مارسها ضد بعض الفرق الزردشتية، ولعل بعض الذين دونوا الارشيف الديني الزردشتي لم يكونوا على وفاق تام مع كرتير، فعمدوا الى اهمال ذكر اسمه في المدونات الدينية الزردشتية .

٢ – يبدو ان جهود كرتير في دعم الزردشتية والوقوف بالضد من الاديان المنافسة ومحاولة كرتير توظيف الزردشتية لتدعيم فكرة الامبراطورية الساسانية ان جعلته ذو مكانة كبيرة لدى الملوك الساسانيين، ويبدو ذلك جليا في عديد الالقاب الكبيرة التي منحت لكرتير والتي ذكرناها انفا، اذ اسهمت تلك المكانة الكبيرة لكرتير ان اعطي الاذن للكتابة الى جانب الملوك على ابرز النقوش الساسانية .

٣ – لعل اكثر ما يميز البحث من خلال النقوش انها تمثل دليلا ملموسا لحقبة تاريخية معينة، كما ترد فيها تفاصيل تكاد تكون مغيبة في المدونات الورقية، وهو ما تمثل في نقوش الموبذ كرتير، أذ ان المعطيات السياسية والدينية التي اظهرتها الدراسة من خلال تلك النقوش غيبت جميعها في المدونات الدينية الساسانية، ولولا وجودها في تلك النقوش لم نتمكن من تناول شخصية دينية ساسانية مهمة مثل كرتير وما قام به من اعمال وتنظيمات داخل الزردشتية نفسها .

٤ – كشفت معطيات الدراسة من خلال نقوش الموبذ كرتير عن حلقة مهمة غيبت ايضا من المدونات الدينية والتاريخية الساسانية وهي الصراع الدائر ما بين الديانة المانوية والديانة الزردشتية، ومحاولة كل منهما التقرب للبلاط الملكي الساساني عبر طرح افكار تتفق ومطامح الشاهنشاه، فالنقوش الواردة عن كرتير بينت استمرارية ذلك الصراع على فترات متفاوتة، وانتهى المطاف بسيطرة كرتير وفرض الزردشتية دينا للدولة .

هوامش البحث

[١] - بر شريعتي، بروانه، أضمحلال الامبراطورية الساسانية وسقوطها، ترجمة أنيس عبد الخالق محمود، (بيروت، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، ٢٠٢٠)، ص ٤٧٤ .

[٢] - للمزيد عن تلك النقوش الساسانية الاربعة ينظر

Philippe Gijnoux: middle Persian inscriptions in:Cambridje History of Iran The Seleucid Parthian and Sasanian Periods: pt2: and Les Quatre inscriptions: pp: 45-48 and 53-73.

[٣] - حقيقت، عبد الرفيع، حكومت ديني ساسانيان، (تهران، انتشارات كومش، ١٣٨٦)، ص ٨٤ .

[٤] - تفضلي، احمد، تاريخ ادبيات ايران بيش از اسلام، به كوشش زاله اموزكار، (تهران، أنتشارات سخن، ١٣٨٣ هـ.ش/٢٠٠٣م)، ص ٩٣ .

[٥] - لوكونين، ولاديمير، تمدن ايران ساسانى، ترجمة: عنايت الله رضا، (تهران، علمى فرهنكى، ١٣٨٤ هـ.ش/٢٠٠٦م)، ص ١٦١ .

[٦] - الكعبي، نصير، جدلية الدولة والدين في الفكر الشرقي القديم ايران العصر الساساني انموذجا، (بيروت، منشورات الجمل، ٢٠١٠)، ص

[٧] - دريايى، تورج، كتيبة كرتير در نقش رجب، مجلة نامه ايران باستان، سال اول، شمارة اول، مركز نشر دانشكاهى، (١٣٨٠)، ص ٦ – ٧ .

[٨] - بر شريعتي، اضمحلال الامبراطورية الساسانية، ص ٤٧٨

[٩] - Shaked, shaul, Dualism in Transformation; Varieties of Religion in Sasanian Iran. Jordan Lectures in comparative Religion ; 16.London: School of Oriental and African Studies ,University of London ,1994,p46.

[١٠] - Fray,Richard,The middl Persian of kartir, (shiraz:1976),p 187-190 .

[١١] - حقيقت، حكومت ديني ساسانيان، ص ٨٧ .

[١٢] الكعبي، جدلية الدولة والدين، ص ٢٣٧ .

[١٣] - زند بهمن يسن بركردان فارسي وياد داشتها، محمد تقي راشد محصل (تهران: مؤسسة وتحقيقات فرهنكي، ١٣٧٠)، ص٢٣٧ .

[١٤] - الكعبي، جدلية الدولة والدين، ص ٢٣٧ .

[١٥] - اسموسن، جي. ب، فاتحة انتشار المسيحية في الشرق (العهد الساساني)، ترجمة: جرجيس فتح الله، (اربيل: دار ادي شير، ٢٠٠٥)، ص ٣٥ – ٣٦ .

[١٦] - رجبي، برويز، كرتير وسنك نبشه او در كعبة زردشت، مجلة بررسى هاى تاريخي، سال ٦، شمارة مخصوص ١٣٥٠ هـ ش ١٩٧٢م، ص ٦٠ .

[١٧] - عهد اردشير، تحقيق: احسان عباس، (بيروت، دار صادر، ١٩٦٧)، ص ٥٣ .

[١٨] - تنسر من كبار رجال الدين ايام اردشير وقيل في ايام انوشروان فكان هو " هربذان هربذ " ورئيس سدنة بيوت النار وقام بجمع متون الاوستا والواقع ان الكتاب وضع ردا من تنسر على اسئلة معينة اثارها احد ملوك الطوائف منتقدا سياسة اردشير وان تنسر يحاول اقناع هذا الملك بأن يخضع لأردشير وان يسرع اليه ويبايعه للمزيد ينظر تنسر، كتاب تنسر اقدم نص عن النظم الفارسية قبل الاسلام، ترجمة: يحيى الخشاب، (القاهرة، مطبعة مصر، د – ت)، ص ٤ -١١ .

[١٩] - رجبي، كرتير وسنك نبشته ص ٦٤ .

[٢٠] - الكعبي، جدلية الدولة والدين، ص ٢٤٤ .

[٢١] - كيمن، دوشن، دين وسياست در روزكار ساسانيان، ترجمة: حسن انوشة، (تهران، امير كبير، ١٩٩٨)، ص ٣٣٧ .

[٢٢] - رجبي، كرتير وسنك نبشته، ص ٦٣ – ٦٤ .

[٢٣] - دريايى، نقش رجب، ص ٦ – ٧ .

[٢٤] - الكعبي، جدلية الدولة والدين، ص ٢٤١ .

[٢٥] - رجبي، كرتير وسنك نبشته، ص ٦٣ .

[٢٦] - رجبي، كرتير وسنك نبشته، ص ٦٥ .

[٢٧] - بر شريعتي، اضمحلال الامبراطورية الساسانية، ص ٤٧٠ .

[٢٨] - سركاراتى، بهمن، اخبار تاريخى در آثار مانوي (ماني واشكانيان)، برسسى هايه شكار شده، (تهران، نشر قطره، ١٣٧٨ هـ ش/١٩٩٩م)، ص ١٧٧ – ١٧٨ .

[٢٩] - المصدر نفسه، ص ١٧٩ .

[٣٠] - الكعبي، جدلية الدولة والدين، ص ٢٣٣ .

[٣١] - رجبي، كرتير وسنك نبشته، ص ٦٦ .

[٣٢] - رجبي، كرتير وسنك نبشته، ص ٦٠ – ٦١ .

[٣٣] - بر شريعتي، اضمحلال الامبراطورية الساسانية، ص ٤٨١ .

قائمة المصادر

اولا: المصادر العربية والمعربة

١ – اسموسن، جي. ب، فاتحة انتشار المسيحية في الشرق (العهد الساساني)، ترجمة: جرجيس فتح الله، (اربيل: دار ادي شير، ٢٠٠٥) .

٢ – بر شريعتي، بروانه، أضمحلال الامبراطورية الساسانية وسقوطها، ترجمة أنيس عبد الخالق محمود، (بيروت، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، ٢٠٢٠) .

٣ – تنسر، كتاب تنسر اقدم نص عن النظم الفارسية قبل الاسلام، ترجمة: يحيى الخشاب، (القاهرة، مطبعة مصر، د – ت) .

٤– عهد اردشير، تحقيق: احسان عباس، (بيروت، دار صادر، ١٩٦٧) .

٥ – الكعبي، نصير، جدلية الدولة والدين في الفكر الشرقي القديم ايران العصر الساساني انموذجا، (بيروت، منشورات الجمل، ٢٠١٠) .

ثانيا: المصادر الفارسية

١ – – تفضلي، احمد، تاريخ ادبيات ايران بيش از اسلام، به كوشش زاله اموزكار، (تهران، أنتشارات سخن، ١٣٨٣ هـ. ش/٢٠٠٣م) .

٢ – حقيقت، عبد الرفيع، حكومت ديني ساسانيان، (تهران، انتشارات كومش، ١٣٨٦) .

٣ – دريايى، تورج، كتيبة كرتير در نقش رجب، مجلة نامه ايران باستان، سال اول، شمارة اول، مركز نشر دانشكاهى، (١٣٨٠) .

٤ – رجبي، برويز، كرتير وسنك نبشه او در كعبة زردشت، مجلة بررسى هاى تاريخي، سال ٦، شمارة مخصوص ١٣٥٠ هـ ش ١٩٧٢م .

٥ – زند بهمن يسن بركردان فارسي وياد داشتها، محمد تقي راشد محصل (تهران: مؤسسة وتحقيقات فرهنكي، ١٣٧٠) .

٦ – سركاراتى، بهمن، اخبار تاريخى در آثار مانوي (ماني واشكانيان)، برسسى هايه شكار شده، (تهران، نشر قطره، ١٣٧٨ هـ ش/١٩٩٩م) .

٧ – كيمن، دوشن، دين وسياست در روزكار ساسانيان، ترجمة: حسن انوشة، (تهران، امير كبير، ١٩٩٨) .

٨ – لوكونين، ولاديمير، تمدن ايران ساسانى، ترجمة: عنايت الله رضا، (تهران، علمى فرهنكى، ١٣٨٤ هـ.ش/٢٠٠٦م) .

ثالثا: المصادر الاجنبية

1- Fray,Richard,The middl Persian of kartir,
(shiraz:1

2 – Philippe Gijnoux: middle Persian inscriptions in:Cambridje History of Iran The Seleucid Parthian and Sasanian Periods: pt2: and Les Quatre inscription

3 – Shaked, shaul, Dualism in Transformation; Varieties of Religion in Sasanian Iran. Jordan Lectures in comparative Religion ; 16.London: School of Oriental and African Studies ,University of London ,1994